موقف العلماء المغاربة من المحنة الاندلسية
- مقارنة بين فتوتي الونشريسي وأبو جمعة المغراوي -

أ. تومي طاهر
جامعة البويرة

الملخص:

تتناول هذه الدراسة مقارنة بين فتوتي أحمد الونشريسي وابو جمعة المغراوي، حيث حاولنا ابراز موقف كل منهما من المأساة الاندلسية الموركسية، علما أن كلاهما اعطى حلولا مناسبة لهذه النازلة المستجدة في ذلك الوقت، فأحمد الونشريسي أفتى بوجوب الهجرة من الأندلس التي أصبحت داركفر حسبه إلى ديار الاسلام التي يمكن فيها المحافظة على العقيدة الاسلامية، في حين حاول المغراوي تشجيع الاندلسيين من أجل التمسك بعقيدتهم بالاندلس ذاتها وذلك باستعمال التقية.

الكلمات المفتاحية: الاندلسيين- الموركسيين - الاندلس- المغرب الاسلامي- الهجرة.

Abstract:

his study deals with the comparison between the two sects of Ahmad al-Ancharisi and Abu Juma'a al-Maghraoui, where we tried to highlight the position of each of the Andalusian-Morsean tragedy, both of which gave suitable solutions to this emerging exile at that time. Ahmad al-Ancharisi said that he should migrate from Andalusia, In which Islam can be preserved, while Al-Maghraoui tried to encourage the Andalusians to uphold their faith in Andalusia itself by using piety.

the key words: Andalusian- Morsean- Andalusia - migrate - Islamic Maghreb.

مقدمة

مأساة حقيقية تلك التي عاشها الأندلسيون الموريسكيون بعد سقوط غرناطة آخر معاقل العرب والمسلمين بالأندلس سنة 1492م[1]، فقد كانت غرناطة آخر حلقة من تاريخ الأندلس الإسلامي، فبمجرد سقوطها بدأت مأساة المسلمين الذين ذاقوا أنواعا من التنكيل والتعذيب والتشريد وحتى التقتيل بقي التاريخ شاهدا على فضاعتها إلى يومنا هذا[2].

والأدهى والأمر أن هؤلاء الأندلسيين وجدوا الجفاء والنكران وعدم الترحيب بهم من طرف الكثير بديار الإسلام[3]، فهم في نظر النصارى مسلمون يجب إبادتهم والتخلص منهم حتى لا يشكلوا خطرا على وحدتهم، وفي المقابل عند المسلمين (المغاربة خاصة) هم مسيحيون كفار ودخلاء عنهم يجب عدم الثقة بهم لأنهم خطرا على دينهم ووطنهم وعملاء للإسبان، وبذلك وقع الأندلسيون بين نارين يصعب النجاة منهما.

لذلك كان العلماء والفقهاء ملاذهم الآمن الذي يجب الرجوع إليه عند اشتداد الأمر وضيق الحال، ومشاورتهم استفتائهم للتمسك بعقيدتهم ودينهم الاسلامي، ومن أهم العلماء الذين أدلوا بدلوهم في الشأن الأندلسي هما: الفقيهان أحمد الونشريسي وأبو جمعة المغراوي الوهراني، فأصدرا كلاهما فتاوى تخص هذه القضية الخطيرة والمعقدة في ذلك الوقت؛ لأنها تتعلق بنازلة تخص الدين والوطن.

فإلى أي مدى ساهمت فتاوى الونشريسي والمغراوي في إنقاذ الأندلسيين من هذا التيه؟ وهل يوجد اختلاف بينهما؟ وكيف تعامل كل واحد منهما مع هذه القضية؟

1- **التعريف بالونشريسي:**

هو أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد ابن علي الونشريسي، نسبة إلى جبال الونشريس بالغرب الجزائري، ولد حوالي سنة 834هـ/1430م[4]، ارتحل في طفولته المبكرة مع أسرته إلى تلمسان وتلقى دراسته بها[5]، فأخذ العلم عن العديد من شيوخها كالإمام أبي الفضل العقباني وابنه القاضي العالم أبي سالم العقباني وحفيده الإمام العلامة محمد بن أحمد بن قاسم العقباني والإمام محمد ابن العباس والعالم أبي عبد الله الجلاب والإمام الخطيب الصالح ابن مرزوق الكفيف والغرابلي وغيرهم[6] وأحمد بن زكري، ثم انتقل إلى فاس قادما إليها من تلمسان بسبب مجاهرته بالحق واختلافه مع السلطان، حيث ذكر ابن مريم " أنه حصلت له كائنة من جهة السلطان في أول محرم أربعة وسبعين -874هـ - وانتهبت داره ففر إلى مدينة فاس واستوطنها "[7] وتقلد بها الفتوى والتدريس.[8]

تميز الونشريسي خاصة باطلاعه الواسع على مسائل الفقه والقضايا التي تتصل بالنوازل والفتاوى والأحكام، التي ألزم نفسه بتدريسها والتأليف فيها حتى قال عنه أحمد المنجور في الفهرسة "وكان مشاركا في فنون العلم إلا أنه انكب على تدريس الفقه فيقول من لا يعرفه أنه لا يعرف غيره... "، فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من يحضر تدريسه يقول: "لو حضر سبويه

لأخذ النحو عن فيه"[9]

ووصف كذلك بالفقيه الكبير الحافظ المحصل النوازلي وقال فيه ابن غازي أمام حلة من الفقهاء (لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك وأصوله وفروعه، كان بارا في يمينه ولا تطلق عليه زوجته لتبحر أبي العباس وكثرة اطلاعه وحفظه وإتقانه)، وهو حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التاسعة.[10]

توفي آخر سنة 1508م، وكان رحمه الله فقيها عارفا بالأصول والفروع متفننا في العلوم شاعرا مجيدا لغويا لا يقاومه أحدا من أهل عصره وكان له مجلسا خاص لا يحضره إلا الفحول من الفقهاء كابن الزقاق[11].

وقد ترك الونشريسي عدة آثار في شتى المجالات أبرزها:

1- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب وهو أشهر كتبه وبه ارتبطت شهرة الونشريسي الذي جمع فيه النوازل الفقهية في شكل أبواب تتصل بتعامل الأفراد.[12]
2- النور المقتبس من قواعد مذهب مالك ابن أنس.[13]
3- المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق.[14]

2- التعريف بأبي جمعة المغراوي:

هو أبو العباس أحمد بن أبي جمعة المغراوي ثم الوهراني المعروف بالسيد شقرون؛ لأنه كان أشقر اللون أحمر العينين جهور الصوت العلامة الحافظ، قال عنه ابن عسكر" قدم فاس ودرس بها وكان من الفقهاء الأعلام ألف كتاب جامع الجوامع، الإختصاص والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، ومات في العشرة الثالثة من القرن العاشر "[15] أي ما بين 930- 940هـ الموافق لـ 1524 - 1534م، قال عنه ابن مريم "الأستاذ المتكلم المقرئ الحافظ الضابط أبو عبد الله محمد أخذ عن الفقيه الامام عبد الله محمد بن غازي... وله تآليف منها الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين "[16]

3- الظروف التي تمت فيها صدور الفتوتين:

عندما وقع أبو عبد الله الغرناطي[17] وثيقة الاستسلام وسلم مفاتيح غرناطة[18]، دخل الملكان الكاثوليكيان إزابيلا وفرديناند إلى المسجد وحولاه إلى كاتيدرائية وقاما فيه بصلاة الشكر للرب[19]،

وهذا هو ديدين النصارى عندما يسيطرون على معاقل المسلمين، فأول عمل يقومون به هو تدمير أو تحويل المساجد إلى كنائس وحتى إلى إسطبلات لحيواناتهم.

وقد قامت الكنيسة بدور هام في تحريض الرأي العام الإسباني من أجل إبادة المسلمين وطردهم من شبه الجزيرة الإيبيرية، ولما رأى الملك فرديناند بأن الأندلسيين تركوا الهجرة وعزموا على الاستقرار، أخذ في تنفيذ سياسته الاحتوائية بهدف جعلهم يدينون بالدين المسيحي على المذهب الكاثوليكي، ومخلصين للدولة الإسبانية والكنسية، فتزول بذلك حرمة المسلمين ويدركهم الهوان والذل، فقام بقطع الآذان ومنع الصلاة وأمرهم بالخروج من غرناطة والذهاب إلى القرى والأرياف، وهكذا سرعان ما تنكر الطرف المسيحي لكل عهوده، في عملية جديدة تقضي ليس باسترداد المدن فقط، بل أيضا باسترداد روحي وحضاري لكافة سكان المملكة[20].

كل هذه الإجراءات القمعية كانت مقدمة لمشروع التنصير القصري الذي فرضه عليهم فيما بعد[21]، ولإنجاح هذا المشروع تم تأسيس فيما يعرف تاريخيا بديوان التفتيش[22] الذي كان يقوم بمهمة استجواب المسلمين وكشف أسرارهم تحت طائلة التعذيب، ولهذا الغرض وزعت محاكم التفتيش قائمة مفصلة بكل المظاهر التي تدل على اتباع ملة الدين الإسلامي من طرف الأندلسيين، وفتح الباب أمام الوشاية بهم من طرف النصارى الإسبان[23].

ويمكننا ذكر بعض هذه المظاهر في الجملة التالية:

" إذا تم الاحتفال بيوم العيد واحترام تعاليم الدين الإسلامي، وإذا تزوجوا على النهج المحمدي، وإذا غنوا الأغاني العربية وإذا غسلوا موتاهم ولفوهم بالكفن، وإذا سمعنا أن الدين الإسلامي هو الأحسن ولا يوجد غيره للوصول إلى الجنة "[24].

كل هذه الإجراءات التي اتخذت كانت من أجل إرغام الأندلسيين على ترك عقيدتهم واعتناق الدين المسيحي، ومما زاد في معاناتهم صدور مرسوم التنصير القصري سنة 1502م، الذي حرم بموجبه ممارسة أي عمل يمت بصلة للدين الاسلامي واللغة العربية، هذا ما دفع بالكثير منهم إلى الالتحاق بإخوانهم في الجبال الوعرة للهروب بدينهم وأنفسهم، لذلك تخوفت الحكومة الإسبانية من رد فعل الموريسكيين على هذه الإجراءات الجائرة فأصدرت قرارا يمنعهم من امتلاك السلاح سرا أو علنا[25]، وبهذه الإجراءات التعسفية أراد الإسبان تحويل الأندلسيين إلى عبيد يأتمرون بأوامرهم ويخضعون لسلطانهم، ويتركون دينهم وعقيدتهم.

قررت دواوين التفيتش قطع الموريسكيين عن جذورهم وهويتهم الثقافية وذلك بالقضاء على نظامهم الاجتماعي بقتل العلماء والفقهاء والعالمين بشؤون الدين الإسلامي وتسليط عليهم جميع أنواع الاعتداء والتعذيب والتنكيل، وحرمانهم من وظائفهم ليتفشى بينهم الفقر والجوع فيلجؤن إلى ترك دينهم والدعوة اليه. [26]

لقد تبادر إلى أذهان الأندلسيين أنهم إذا تركوا دينهم ودخلوا في الدين المسيحي سوف ينجون من العذاب ويتجنبون الأذى، لذلك حاولوا التظاهر بترك دينهم والدخول في دين النصارى، فقد أثبتت المصادر التاريخية أن الأندلسيين قد عملوا بمبدأ التقية منذ سنة 1499م[27]، لما أساء القساوسة إليهم حيث حدثت فتنة كبيرة بغرناطة وقبض على الكثير منهم، ورغم أسلوب التقية المطبق من طرفهم، إلا أن السلطات الاسبانية بتحريض من الكنيسة كانت تخشى من مسلمي غرناطة، لأنهم في نظرها أقرب إلى بلاد المغرب التي عمل أهلها على مساعدتهم، فحاولت دائما التجسس عليهم ومراقبتهم باستمرار. [28]

لقد أظهرت السلطات الاسبانية قدرة فائقة لإرغام الأندلسيين على تغيير دينهم، حيث عمل القساوسة على تنصير الناس بكل الوسائل والطرق، وأمام الأساليب الوحشية التي طبقتها دواوين التفتيش، تظاهر البعض من المسلمين باعتناق المسيحية خوفا من الاضطهاد والتنكيل أو لنيل مبتغى ما، أما البعض الآخر فحاول الاحتجاج على ممارسات الكنيسة قائلين بأن هذه الأعمال منافية لبنود معاهدة الاستسلام. [29]

وفي السنوات اللاحقة شددت الكنيسة والسلطات العسكرية إجراءات التعسف بحق الأندلسيين، فأرسل الملك فرديناند سنة 1508م مرسوما يمنع على الأندلسيين استعمال اللغة العربية وارتداء الملابس التقليدية العربية، ومنع الختان والزواج على الطريقة الاسلامية وممارسة أي عادات أو عبادات إسلامية أو عربية مهما كان نوعها، وقد تسبب هذا المرسوم في محاكمة الآلاف من الأندلسيين المتهمين الذين وقعوا في فخ الوشاية والحقد والانتقام وحكم عليهم بالسجن والجلد والاسترقاق، وكانت من أهم مظاهر مأساة الأندلسيين الموريسكيين إجبارهم على ترك العبادات وتغيير أسمائهم العربية بأخرى نصرانية. [30]

كل هذه الإجراءات طبقت في حق الأندلسيين طيلة فترة طويلة من الزمن امتدت من قبل سقوط غرناطة سنة 1492م، إلى غاية صدور قرار الطرد النهائي ما بين 1609-1614م، وذلك بغرض تحويلهم عن دينهم وعقيدتهم، بالإضافة إلى محاولة التخلص منهم أو دمجهم في المجتمع

الإسباني المسيحي.

وأمام هذا الوضع المتأزم بدأت الاتصالات بين المسلمين بالأندلس وعلماء وفقهاء بلاد المغرب الإسلامي لإيجاد حل لهذه المعضلة التي لم يجدوا لها مخرجا، ومن أبرز هؤلاء الفقهاء الونشريسي وأبو جمعة المغراوي، حيث كان لكل واحد منهما رأي في هذه القضية المستجدة.

4 - فتوى الونشريسي الأولى:

جاءت فتوى الونشريسي الأولى قبل سقوط غرناطة، وكان ذلك سنة 1484م[31]، وتدخل هذه الفتوى في باب النوازل الفقهية[32]، التي لم تكن منتشرة بكثرة في بلاد المغرب الإسلامي آنذاك، ومع اشتداد حروب الاسترداد التي شنها الإسبان على العرب والمسلمين بالأندلس، وما صحبها من نزوح للجاليات الأندلسية باتجاه بلاد المغرب، حيث تركوا وراءهم أموالهم وأراضيهم ونسائهم وأطفالهم، بدأ هؤلاء الأندلسيون أو من ينوب عنهم في محاولة لإيجاد الحلول الشرعية، تبيح لهم العودة إلى أرضهم وممتلكاتهم وعائلاتهم، فكان الملاذ الآمن لهم العلماء والفقهاء من أجل إيجاد صبغة شرعية تمكنهم من تحقيق مرادهم وإطفاء نار الشوق والحنين بداخلهم اتجاه ما خلفوه وراءهم بالأندلس.

وأهم العلماء الذين كان لهم رأي في قضية هجرة الأندلسيين هو الشيخ الفقيه العلامة أبو العباس أحمد الونشريسي، وقد تمحورت إجابته حول سؤال من طرف أحد الفقهاء اسمه أبو عبد لله بن قطية إستفتى فيها الونشريسي حول مصير هؤلاء الأندلسيين الذين كانوا يريدون الرجوع إلى بلادهم. [33]

ابتداء لابد من الرجوع إلى سنة صدور الفتوى وكذلك سؤال المستفتي قبل التطرق إلى إجابة الونشريسي، فقد أُرِّخَت هذه الفتوى في9 ذي القعدة 890هـ/1484م[34]، أي قبل سقوط غرناطة بحوالي ثماني سنوات، والملاحظ هنا عدم ذكر إمارة غرناطة التي لم تسقط بعد بيد النصارى ولا حتى ذكر فقهاء الأندلس بصفة عامة وفقهاء غرناطة بصفة خاصة الذين كان يجدر بهم الإجابة على مثل هذا السؤال لأنهم الأقرب إلى الحدث ومعرفة الواقع الأندلسي من غيرهم في بلاد المغرب.

أما بالعودة لنص السؤال فقد ابتدأ عبد الله بن قطية بالحمدلة ثم الثناء على الونشريسي وبعدها طرح سؤالا في نازلة حلت بفاس أبطالها قوم من الأندلس هاجروا وتركوا أموالهم وأولادهم وراءهم، حيث نلاحظ أن السائل بدأ مباشرة بالتشكيك في نوايا هؤلاء، وفي ذلك يقول: " وزعموا أنهم فروا إلى الله سبحانه وبأديانهم وأنفسهم وأهليهم... "[35]. ثم يواصل تشكيكه في

هؤلاء القوم المستضعفين، حيث يتهمهم بالسخط على الأوضاع التي أصبحوا يعيشونها، ووصفهم بضعاف العقيدة والدين، وأنهم لم يهاجروا لله ورسوله وإنما كانت لدنيا يصيبونها عاجلا[36] وفق أهوائهم، وعندما وجدوا الحال غير الحال التي كانوا يريدونها ذموا دار الإسلام وشأنه، ومدح دار الكفر وأهله والندم على مفارقته[37]، بل أكثر من ذلك من قال أن الهجرة واجبة إلى أرض الأندلس وليس العكس وآخر يقول إن جاز صاحب قشتالة إلى النواحي نسير إليه فنطلب منه أن يردنا إلى هناك يعني إلى دار الكفر ومعاودة الدخول تحت الذمة الكافرة كيف أمكنهم. [38]

ثم يقول السائل: "وهل من شروط الهجرة أن لا يهاجر أحدا إلا إلى دنيا مضمونة يصيبها عاجلا، مع أنه هنا يطرح السؤال إلا أنه يؤكد وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام إلى حلو أو مر أو وسع أو ضيق...، إلى أحوال الدنيا، وإنما القصد بها سلامة الدين والأهل والولد مثلا والخروج عن الملة الكافرة إلى الملة المسلمة إلى ما شاء الله من حلو أو مر، أو ضيق عيش أو سعته ونحو ذلك من الأحوال الدنيوية... [39].

إذن السؤال كان يشخص أحوال الأندلسيين في المغرب ويحمل الكثير من التشكيك وسوء الظن بهؤلاء، حيث نلاحظ أن السائل لم يجد لهم أي عذر سواء في معيشتهم السابقة التي كانت ميسورة ومنتظمة قبل حلول الكارثة بهم، أو فيما يخص معيشتهم بفاس من ضيق في العيش ونقص في الأرزاق والأموال، وإنما نستشف من هذا السؤال أن تكون الإجابة من طرف الونشريسي وفقا لتصور هذا السائل الذي كان يريد أن لا يجد أي مبرر لتصرف الأندلسيين غير المبرر بدار الإسلام، هذا إن صح منهم فعلا هذا التصرف أو هذه التصرفات التي ذكرت؟ فقد تكون هذه الأقوال والأفعال معزولة ومنفردة لا تعبر بالضرورة عن رأي الأغلبية الأندلسية التي عمم عنها هذا السائل هذه التصرفات.

وإذا عدنا إلى نص الإجابة، فالونشريسي أجاب عن سؤال طرحه ابن قطية الذي وصف له تصرفات الأندلسيين التي تناقض ما تعارف عليه المسلمون من مدح دار الإسلام وأهلها والهجرة من دار الكفر وذمها، فقد شخص هذا الفقيه أحوال الأندلسيين بفاس وليس بالأندلس، ثم طرح سؤالا عن وجوب هجرتهم من بلادهم، فكانت إجابة الونشريسي وفق هذا السؤال كالتالي:

ابتدأ الونشريسي أولا بالحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله" صلى الله عليه وسلم" ثم بين حكم الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام التي هي فريضة إلى قيام الساعة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل والفتنة، حيث استشهد ببعض الأحاديث والآيات في هذا

الموضوع، وكذلك فتوى للإمام مالك بن أنس، ولم يجد الونشريسي أي عذر لكل قادر ومستطيع على الهجرة، ماعدا البعض كالمريض والمأسور والمقعد أو الضعيف جدا[40]، ويدخل في حكم المكره المتلفظ بالكفر مع استحضار النية

بالإيمان[41]، وأنه لو كان قادرا لهاجر مع إخوانه من دار الكفر إلى دار الإسلام، أما المتمكن والقادر فليس له أي عذر وهو ظالم لنفسه[42].

ومنه فقد فصل الونشريسي في هذه الفتوى أحكام الهجرة ومن تسقط عنهم وأثبت أن الهجرة فرض إلى يوم القيامة، ومن أسلم بدار الحرب يجب عليه أن يهاجر ويلتحق بدار الإسلام ولا يقيم بين المشركين كي لا تجري عليه أحكامهم.

5- **فتوى الونشريسي الثانية:**

صدرت هذه الفتوى بعد سقوط غرناطة وكانت سنة 901هـ/1495م، حيث جاءت الفتوى الثانية للونشريسي ردا على سؤال آخر طرحه نفس السائل الأول وهو أبو عبد الله بن قطية في حق رجل أندلسي معروف بالفضل والدين تخلف عن الهجرة مع أهل بلده، وبقي بالأندلس خدمة لإخوانه المسلمين لدى السلطات الإسبانية[43] وكان يستفسر عن حكم بقائه بالأندلس لأن مصلحة المسلمين هناك تتطلب ذلك، مع العلم أنه إن فقدوه يلحق بهم ضرر كبير، فهل يرخص له البقاء تحت الملة الكافرة ؟. [44]

فبعد السؤال بدأ الونشريسي بالإجابة بالحمدلة وذكر صفات الله سبحانه وتعالى وما تضمنه من الوعيد والتهديد للكفار وأتباعهم، وقال أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين الأخيار، وأنه من يوالي الكفار أو يكون معهم فقد حاد الله ورسوله[45] وعرض نفسه لسخط العزيز الجبار ثم قال: بأن المؤمن يفر بدينه وإيمانه عن مساكنة الأعداء، حتى ولو كان فاضل فإنه لا يعذر لبقائه بالأندلس، بل وجبت عليه الهجرة ومن تخلف عنها يكون جاهلا بعيدا عن الفطرة أو مهادنا للكفار، ومن أعظم أهداف الهجرة أن تكون كلمة الله العليا وكلمة الكفر السفلى، ومن هادن الكفار ورضي بمعاشرتهم فإن كلمة الحق تكون هي السفلى وكلمة الباطل هي العليا وهذا مناف لشرع رب العالمين[46].

إذن ما يمكن ملاحظته أن الفتوى الأولى جاءت تتكلم عن أحوال الأندلسيين بالمغرب الأقصى، أما الفتوى الثانية فقد تكلمت صراحة عن المسلمين بالأندلس، حيث يقول الونشريسي أن مبررات البقاء بالأندلس كلها مفقودة ولا يمكن لأحد من الأندلسيين قادرا عاقلا أن يبقى تحت

حكم ملة الكافر، فقد توفرت كل أسباب الهجرة، لأن أركان الإسلام والإيمان كلها معطلة من طرف المسيحيين، والمسلمون يتعرضون لكل أنواع الأذى والتعذيب والتنكيل لذلك وجبت الهجرة[47]، ومنه فإن الفتوى الثانية متممة ومكملة للفتوى الأولى، فكلاهما تعطي حلولا للهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، أي من إسبانيا إلى بلاد المغرب.

6- فتوى أبو جمعة المغراوي:

صدرت هذه الفتوى من طرف المفتي أبو جمعة المغرواي في غرة رجب عام 910هـ/ نوفمبر 1504م[48]، بمعنى أنها صدرت بعد سقوط غرناطة بحوالي إثنى عشرة سنة، حيث زادت الحملات الشعواء ضد الأندلسيين في فترة حكم الملكين الكاثوليكيين إيزابيلا وفرديناند، وقد فرض على الأندلسيين التنصير الإجباري ومنعوا من تأدية شعائر الدين الاسلامي. [49]

نلاحظ على هذه الفتوى أنها جاءت في صيغة النصيحة والتشجيع أكثر منها فتوى، لأننا لا نجد أي سؤال فيما يخص هذه الفتوى، ولكن لا ندري هل هذه النصيحة جاءت من باب النصح والإرشاد لهؤلاء الأندلسيين أم جاءت استجابة لنص سؤال يستفسر فيه هؤلاء؟ لكن الظاهر أنها نصيحة عامة لأهل الأندلس الذين ضاقت بهم الحيل والسبل وتقطعت بهم الأسباب.

ابتدأت هذه الفتوى بالحمدلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الثناء على أهل الأندلس القابضين على دينهم كالقابض على الجمر[50] من أجزل الله ثوابهم، نتيجة صبرهم ورباطهم في سبيل الله وتحملهم الأذى والعذاب من أجل التمسك بعقيدتهم، والذين افتدوا الأموال والأبناء مرضاة لله سبحانه وتعالى[51] وذلك من أجل نيل الفردوس الأعلى، فهم غرباء[52] في الدين قرباء من مرضاة الله وعفوه، لأنهم ورثة الأنبياء في الابتلاء والصبر وتحمل المشاق، وبعد الثناء عليهم بدأ في الدعاء لهم بصدق الإيمان وأن يفرج الله عنهم هذا الهم، ويجعل لهم من الأمور فرجا ومن كل ضيق مخرجا. [53]

ثم جاء ذكر اسمه بعد الثناء والمدح والدعاء ليبدأ في النصح، حيث يقول: " لهم أنتم الغرباء القرباء وأنا المحتاج لدعائكم بحق غربتكم وإخلاصكم "[54]، وكأنه يقول لهم أنتم أفضل مني لأنكم ابتليتم في دينكم وعقيدتكم وأموالكم وأولادكم وصبرتم في سبيل الله.

ثم يدعوهم بوجوب التمسك بدينهم وعقيدتهم وتبليغ ذلك إلى أولادهم، حيث يقول" وطوبى لكم إذا أنجزتم هذا العمل لأنكم في هذه الحالة تصلحون حينما أصبح الناس يفسدون"[55]، وقد وصف لهم كيفية المحافظة على دينهم والتمسك به ودعاهم إلى استعمال الإسلام الخفي في إطار مبدأ

التقية[56]، وفي ذلك يقول لهم: " فتوحيد الله بالقلوب، أما الأقوال الأخرى إن لم تكن نابعة من القلب فلا تقدم ولا تؤخر إذا كان القلب عامرا بذكر الله، فالصلاة بالإيماء، والزكاة هدية لفقيركم والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور، وحتى يحق لكم تأخيرها إلى الليل حيث غفلة جيوش النصارى، فإن أكرهتم في الصلاة بالسجود للأصنام أو حضور صلاتهم فإن مقصودكم هو السجود لله وطاعته، أما شرب الخمر محرم لكن إذا أكرهتم فاشربوه بنيته لا بنية استعماله، وهكذا سائر المحرمات في الإسلام فتعاملوا معها بغير حقيقتها ولكن بالنية السلمية التي أقرها الإسلام "[57].

وفي الأخير أشار عليهم بالسؤال في كل المسائل التي تعسر عليهم ولم يجدوا لها حلا، ثم دعا الله أن يمكن للإسلام مرة ثانية حتى يرجع الأندلسيين إلى عبادتهم كما أشار ويبتعدون عن التقية لكي يعودوا إلى عبادة الله كما شرع بحوله وقوته من غير محنة، حيث نلاحظ أن أمله كان معقود على الأتراك العثمانيين في تخليصهم من هذه المحنة ثم يختم بقول: "بأنه شاهدا أمام الله بصدقهم وإخلاصهم"[58].

7- **أوجه الاختلاف:**

- أول ما يجب ملاحظته أن الفتوتين مختلفتين شكلا وجزءا كبيرا في المضمون، فمن حيث الشكل نلاحظ أن فتوى الونشريسي كانت ردا على سؤال من أحد الفقهاء اسمه أبو عبد الله بن قطية، يسأل عن نازلة أحدثها الوافدون الأندلسيون ببلاد المغرب، نقل أقوالهم وأفعالهم واستفتى في حكمهم، بمعنى أنه توجد واسطة بين الونشريسي وهؤلاء الأندلسيين، ولو سلما جدلا أن السائل كان أحد الأندلسيين والنصيحة والفتوى كانت صادرة بدون واسطة، بل عن طريق المشاهدة أو حضور الحال، فهل تتغير الفتوى؟ ونحن نعلم أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال.

- أما فتوى أبوجمعة المغراوي فالظاهر أنها لم تكن إجابة عن سؤال، لأنه لم ينقل لنا ذلك، أما إذا كان هناك سؤالا فإنه حتما كان من أحد الأندلسيين الذي كان يعلم بأحوال إخوانه، لأن الفتوى جاءت في ظاهرها استجابة لحال هؤلاء الأندلسيين ببلادهم وليس في غيرها.

- فتوى المغراوي هي عبارة عن نصيحة ومواساة أكثر منها فتوى، لأنها راعت ما يسمى عند الشافعي بفقه الواقع، هذا الواقع المرير الأليم الذي يعيشه هؤلاء يتطلب من العالم والفقيه المؤازرة والمواساة والتشجيع على التمسك بالدين، ففي هذه الأحوال القابض على دينه كالقابض على جمر، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على علم وسعة الاطلاع للشيخ الفقيه أبو جمعة المغراوي، فقد شخص الداء ووصف الدواء في هذه المرحلة الخطيرة من حياة

الأندلسيين الذين كانوا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهاد والتنكيل.

- أما من حيث الزمان فالاختلاف واضح فقد صدرت فتوى الونشريسي الأولى عام 1484م، أي قبل سقوط غرناطة، أما الفتوى الثانية فقد صدرت بعد سقوطها سنة 1495م، أما فتوى المغراوي فقد صدرت في نوفمبر 1504م.
- جاءت فتوى الونشريسي مطولة نوعا ما؛ استدل فيها بالكثير من الآيات وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الفقهاء، لتبرير حكمه على الأندلسيين، أما فتوى المغراوي فإنها خالية تماما من الآيات والأحاديث وآراء الفقهاء المتقدمين عنه، ما يدل على اجتهاده الخاص فيما يراه صوابا لنجدة هؤلاء الأندلسيين.
- فتوى الونشريسي موجهة لشخص أبو عبد الله بن قطية الذي طرح السؤال على عكس فتوى المغراوي الموجهة مباشرة للأندلسيين المضطهدين في بلادهم المسلوبين لحريتهم المطاردين في دينهم.
- أما من حيث المضمون فقد جاءت الفتوتان مختلفتان تماما، فالمغراوي كان متساهل إلى أبعد الحدود مع الأندلسيين وهذا حفاظا على دينهم وعقيدتهم التي يحاربون من أجلها على أيدي النصارى، فيما كان الونشريسي متشددا في الحكم عليهم، لأنه لم يراع الظروف التي كانوا يعيشونها في بلادهم التي غلب عليها النصارى، والذين أذاقوا الأندلسيين أنواعا من الاضطهاد والتنكيل والمهانة ونهب الأموال...، فقد أفتى بالظاهر كرجل فقه سئل ولم يشاهد بنفسه ولم يطلع على الحقيقة، هذا ما نلاحظه من خلال السؤال.

إذن السؤال المطروح هنا هل الونشريسي يعلم بحال الأندلسيين في بلادهم عندما شدد عليهم بهذه الفتوى؟ أم أنه أفتى على ضوء واقع هؤلاء وتصرفاتهم بفاس؟ أم أفتى كرجل فقه وعالم جليل جاءه السؤال من أحد الناس ولم يكن عن طريق مشاهدة الحال؟، وقد قيل ليس الخبر كالعيان.

ربما ترجع الاجابة إلى عدة معطيات لم تحط بها المصادر والمراجع إلى يومنا هذا، ولذلك يمكن أن تكون بعض العوامل أثرت في إجابة الونشريسي نذكر منها:

- ربما العمر قد تقدم بالونشريسي وكان له تأثيره على إصدار هذه الفتوى أو كان تحت تأثير ما لا يعلمه أحد إلا الله.
- الونشريسي أفتى كرجل فقه وعالم جليل عليه مسؤولية عظيمة في تثبيت الناس على

عقيدتهم ودينهم، لأن فتواه تترتب عنها نتائج عظيمة على الاسلام والمسلمين في بلاد الأندلس التي أصبحت دار كفر بعد أن سيطر عليها النصارى.

- ربما غيرته على الإسلام كعالم وفقيه وحتى يغلق باب الفتن في هذا الأمر؛ أي بمعنى آخر حتى ينقذ هؤلاء الأندلسيون من شر النصارى في الدنيا وذلك بتشجيع هجرتهم إلى دار الإسلام خاصة فاس، والفرار بدينهم حتى تكون النجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة التي هي هدف كل مسلم، وهكذا هي نظرة أهل العلم فهم أكثر مسؤولية وأكثر بصيرة من غيرهم.

- ربما قارن بين ما عاشه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة المكرمة في الفترة الأولى، ثم جاء الفرج بالهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة والهجرة الثالثة إلى المدينة المنورة التي تمكنت فيها الدعوة الإسلامية واشتدت شوكة المسلمين بها، على اعتبارها دار سلام وأمن على عكس مكة التي كانت ابتداء دار كفر وشرك واضطهاد.

لكن الملاحظ أن الزمان والمكان مختلفان تماما، فلا فاس وفرت لهؤلاء الأندلسيون العيش الرغيد والأمن من كل مكروه، ولا حتى بلاد المغرب كلها، على عكس المدينة المنورة في بداية الدعوة، فقد وفرت كل ما يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، من دعم مادي ومعنوي وأمن واستقرار.

فلو حاولنا المقارنة بين الأندلس ومكة لكان علينا من الصعوبة بمكان المقارنة، فمكة ابتداء كانت دار كفر وشرك على عكس الأندلس فهي أرض إسلامية لا شك في ذلك منذ فتحها على يد موسى ابن نصير وقائده العسكري طارق بن زياد سنة 92هـ، فالسؤال المطروح هل مكة تمكن بها الإسلام ابتداء ثم هاجر منها الرسول صلى الله عليه وسلم، أم أنه اضطهد بها ففر بعقيدته ودينه ورفقا بالمسلمين الذين لم يحتملوا العذاب والتنكيل؟

إنه اضطهد وعذب هو وأصحابه بمكة وحوصر في شعاب أبي طالب لمدة قاربت ثلاث سنوات ونيف، وقد تم اضطهاد المسلمين لمدة ثلاثة عشر سنة حتى أذن لهم بالهجرة إلى المدينة، على عكس الأندلس التي تمكن فيها الإسلام ودام عزه فيها لمدة قاربت الثمانية قرون قامت فيها دول وسقطت أخرى إلى غاية نهاية آخر معقل للمسلمين إمارة غرناطة، وكان الأمل قائما في استردادها خاصة على أيدي العثمانيين.

وهناك بعض المؤرخين الذين حاولوا الخوض في هذا الموضوع ومن بينهم حسين مؤنس الذي لم يجد أي مبرر للونشريسي وكان قاسيا عليه وأنزل عليه سيلا من التهم التي لا تليق بمقام هذا

العالم الجليل حيث يقول: (... هذا الشيخ الذي تصدى لإبداء رأي في مصير المسلمين المتخلفين في الأندلس لم يكلف نفسه، عندما جلس يكتب هذه الفتوى، عناء البحث عن أحوال من يفتي فيهم وتقصي أخبارهم ويعرف الأسباب التي تضطرهم إلى البقاء في الأندلس وتحول بينهم وبين الهجرة إلى المغرب، ولم يذكر أنهم، أولا وقبل كل شيء بشر ضعفاء، عسير عليهم مغادرة الأوطان ومعاهد الحياة الطويلة التي تقلب فيها الآباء والأجداد قرونا متطاولة، يسير على نفوسهم الرضى بعهود تعطى لهم ووعود تصدر لهم من ملوك وأمراء، على أمل فرج الله الذي لا ينسى عباده، وهو (الونشريسي) عندما أراد ان يضرب مثالا لما يمكن ان يصيب المسلم المتخلف في بلاد النصرانية من الأذى في أهله ذهب يلتمس مثالا من القرن الخامس الهجري، وهو حادث كنة المعتمد بن عباد، بينما مئات الحوادث المماثلة تقع أمام عينيه، فقد كانت كارثة الأندلس على أيامه قد وصلت إلى ذروتها، وأصبحت وكأنها طوفان مغرق يطغى كل يوم على ناحية، ويقذف إلى المغرب بحطام الناجين مئات وآلاف، وكل منهم يحمل من الأخبار والتفاصيل والبراهين أضعاف ما تحمل قصة زوج ابن المعتمد، وهي في ذاتها قصة لا تصلح مثالا، إذ أنها تتعلق بامرأة ضعيفة الايمان بطبعها، قتل المرابطين زوجها ثم استولوا على ديارها، فملأ قلبها الحقد وارتمت بين أيدي خصوم المرابطين في السياسة والدين، وهذا أمر من الممكن حدوثه في كل حين، ولكن شيئا يحفظ ولا ينظر، ويقسو على إخوان لنا في الدين وضعتهم ظروف الأيام بين حجرى رحى تطحن ولا ترحم). [59]

ثم يضيف في موضع آخر (... وقد فاته "الونشرسي " أن ضعاف الناس أكثر من الأقوياء، وأن العاجزين عن الرحلة والهجرة هم الغالبة العظمى، لقد كانت لفتوى الونشريسي وأمثالها أسوأ الأثر على مصير الجماعات الإسلامية الباقية في الأندلس، فقد حكم عليها بالكفر وأنها مقيمة في الجحيم الذي كانت تعانيه... فلو انطبق قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((**القابض على دينه كالقابض على الجمر**)) لصدق عن هؤلاء دون غيرهم، وهؤلاء هم الذين يصفهم الشيخ الونشريسي بالكفر والعصيان ويفتي في أمر إيمانهم وهو متبحبح في داره في فاس)[60].

من خلال ما سبق يمكننا إبداء بعض الملاحظات:

- حسين مؤنس يخلط ما بين ما هو تاريخي وما هو فقهي، فكيف له أن ينتقد عالما بهذه القسوة والجرأة وهو بعيد كل البعد عن الأحداث، وحتى لو سلمنا جدلا أن الونشريسي أخطأ فليس هو من يستطيع أن يحدد درجة الخطأ بل عالما مثل الونشريسي أو يفوقه علما.
- كان من الممكن أن نجد الأعذار لحسين مؤنس لو ناقش الأمر من الجانب التاريخي، لكن أن

يناقش أمر فقهي بهذه البساطة وهو لا يعلم الظروف التي أُصْدرت فيها هذه الفتوى ولا المقصود بها لأنه لا يعلم النيات إلا الله سبحانه وتعالى، بالرغم من أننا نلاحظ الغيرة الواضحة التي أظهرها حسين مؤنس على الموريسكيين ودينهم وعقيدتهم التي كانت تحارب من طرف جميع الإسبان.

- هل فعلا الونشريسي لم يكن يحس بآلام الأندلسيين ؟ وهذا مستبعدا من عالم جليل مثله؛ ولكن نتخيل أنه وازن بين المصالح والمفاسد ثم أصدر هذه الفتوى التي هي في ظاهرها ضد الموريسكيين لكن في باطنها تصب في مصلحتهم ودينهم وعقيدتهم حسب ما كان يراه الونشريسي.

- هل الونشريسي كان حقا يعيش في رغد من العيش ولم يكن يحس بآلام الآخرين من المسلمين؟ حسب ما زعم حسين مؤنس، وهذا مستبعدا لأنه فر من تلمسان هاربا بدينه الذي علمه أن يقول الحق حتى ولو ضد السلطان، فكيف بقضية كهذه مهما كان نوعها وأهميتها فلن تكون بالضرورة مثل مواجهة السلطان وقول الحق في وجهه.

- اتهم حسين مؤنس الونشريسي بالجهل في اسقاط الحوادث التاريخية على بعضها، والخطأ في إصدار أحكام القياس عليها؛ عندما ربط قصة كنة المعتمد بن عباد التي هي في الأصل حادثة فردية على ما وقع للأندلسيين من محن ومآس بقي التاريخ شاهدا عليها، وهذا حسب مؤنس في القياس محال، وهي جرأة زائدة فاقت كل التوقعات من مؤرخ تجاه عالم جليل عرف عنه تبحره في العلم.

- لابد أن نفصل بين آراء الفقهاء والعلماء وآراء المؤرخين، وعدم الخلط بينهما، لأن كل واحد منهما يقدر المفاسد والمصالح حسب ما توفر لديه من أدلة وبراهين وحسب الزمان والمكان؛ إلا إذا توفرت في أحدهما صفة العالم المؤرخ فهنا يحق له الخوض في الأمر ومناقشته، لأن نظرة العالم تختلف تماما عن نظرة المؤرخ للأحداث.

8- أوجه التشابه:

يمكن القول إن أوجه التشابه بين الفتوتين قليلة جدا، لتناقضهما في الطرح على اعتبار أن الونشريسي كان متشددا في فتواه الأولى والثانية، ولم يترك أي فرصة للأندلسيين في البقاء ببلدهم، ومحاولة تنظيم أنفسهم من جديد وإعلان الجهاد ضد النصارى، خاصة وأن هؤلاء الأندلسيين لم يكونوا قد استسلموا كليا خصوصا في الفتوى الأولى، حيث كانت غرناطة لم تسقط بعد، أما الفتوى الثانية فلم يكن مر على سقوطها (غرناطة) أكثر من ثلاثة سنوات.

ومع ذلك يمكن القول أن غيرة الونشريسي على الإسلام والمسلمين ومسؤوليته كعالم وفقيه، وربما عدم معايشته لواقع الأندلسيين والصعوبات التي حالت دون معرفة معاناتهم التي وجدوها أثناء هجرتهم إلى بلاد المغرب الإسلامي، وغيرها من العوامل والأسباب كلها ساهمت في إصدار هذه الفتوى.

أما فتوى المغراوي فقد كانت أكثر رفقا وتفهما لأوضاع هؤلاء الأندلسيين ومواساة لهم ودعوتهم للتمسك بدينهم في هذه الظروف المزرية حتى يأتي الله بالفرج من عنده، وربما المغراوي كان أكثر إطلاعا على أوضاع الأندلسيين ومعاناتهم في ظل عدم قدرتهم على الهجرة، بالإضافة إلى تخطيطهم لاسترجاع الأندلس وإعلان الجهاد بمباركة الأتراك العثمانيين، حيث اندلعت عدة ثورات فيما بعد لتحقيق هذا الهدف، ففي مثل هذه الظروف يجب تشجيع الأندلسيين على التمسك بدينهم، لأن كل الظروف هناك كانت ضدهم، فهم غرباء في وطنهم الأندلس يتعرضون للاضطهاد والتنكيل والقتل بسبب تمسكهم بدينهم وعقيدتهم، وتزيد فتوى التشكيك في عقيدتهم ودينهم أسى في نفوسهم، فهم بالمختصر غرباء في بلدهم الأصلي وكذلك غرباء في ديار الإسلام، مسلمون في الأندلس كفار في المغرب.

فجاءت فتوى المغرواي لتزيح عنهم ولو القليل من هذا الهم الذي كانوا يعيشونه بداخلهم، فالمهم بالنسبة لهم كيف يحافظون على دينهم في ظروف مليئة بالكراهية والأحقاد، فالقابض على دينه كالقابض على الجمر.

وعليه فإننا نلاحظ عدم تعارض جوهر كلى الفتوتين من حيث المبدأ الفقهي، بحيث جاءت فتوى المغراوي مكملة ومتممة لفتوى الونشريسي، فالمغرواي قدم الحلول المناسبة لمسلمي الأندلس للتكيف مع الأوضاع الراهنة، بينما شدد الونشريسي على وجوب الهجرة للقادر فرارا بدينه وكلاهما أراد إعطاء الحلول للمحافظة على حياة الأندلسيين ودينهم من الاضطهاد المسيحي الاسباني.

خاتمة:

جاءت الفتوتان اللتان أصدرهما كل من الونشريسي وأبو جمعة المغراوي متممتان ومكملتان لبعضهما البعض، على الرغم من أنهما تبدوان متناقضتان في الطرح بالنسبة للأندلسيين، فالونشريسي كان في الظاهر متشددا، نابعا ذلك من غيرته على الإسلام وحبه لهم (الأندلسيين)، أما أبو جمعة المغراوي فكان رحيما بهم متعاطفا معهم متساهلا إلى أبعد الحدود، نابعا ذلك أيضا من غيرته على الإسلام وحبه لهم حتى يحافظوا على دينهم وعقيدتهم.

إذن الحب للإسلام والمسلمين كان مصدر هاتين الفتوتين، اللتين كانتا في خدمة الأندلسيين في كل الأحوال، حتى يحافظوا على عقيدتهم ودينهم ليفوزوا في الدنيا، وينالوا مرضاة الله يوم القيامة، ولكل مجتهد نصيب.

الهوامش:

1- وصف لنا صاحب نبذة العصر حال الأندلسيين بعد مأساة احتلال غرناطة بقوله " فخرج أهل الأندلس أذلة صاغرين ثم بعد ذلك دُعوا إلى التنصير وأُكرهوا عليه فدخلوا في دين النصارى كرها وصارت الأندلس كلها مسيحية ولم يبق من يقول فيها: لا إله إلا الله محمدا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جهرا إلا من يقولها في نفسه وفي قلبه خفية من النصارى وجعلت النواقيس في الصوامع بعد الأذان وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فكم فيها من عين باكية وكم فيها من قلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعدومين لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم من المسلمين..." للاستزادة ينظر، مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر وتسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، ضبطه وعلق عليه، الفرد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، 1423هـ/ 2006م، ص 44.

2- وصف ريشيليو كاردينال فرنسا ورئيس وزرائها في عهد لويس الثالث عشر الأعمال الانتقامية وإبادة الموريسكيين الأندلسيين من طرف الإسبان بأنه أكثر ما عرفه التاريخ في جميع عصوره من أعمال القسوة والبربرية والجرأة وطرد من بقي منهم ما بين 1609-1614م، وقد كان شاهد عيان على هذه المأساة التي ستبقى راسخة في ذهن كل من اطلع على فصولها عبر الأزمنة والعصور...، أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1988م، ص5.

3- وقد أشار المقري إلى هذه القضية الخطيرة التي تعرض لها هؤلاء المفجوعين في دينهم ودنياهم، بقوله: «فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم، وانتهى بهم الأمر إلى قتلهم، وبقروا بطونهم ظنا منهم أن الجواهر موجودة بها وذلك ببلاد تلمسان وفاس..». المقري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج4، تحقيق وتعليق، إحسان حقي، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص 528.

4- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص277.

5- عمر بلبشير: " ورقات عن حياة صاحب المعيار"، عصور، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، عدد 4، 5، ديسمبر 2003، جوان 2004/ 1424-1425هـ، ص 55.

6- حسين مؤنس: " أسنى المتاجر فيمن غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر"، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مج6، جمهورية مصر العربية، 1957، ص132.

7- ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م، ص 53.

8- حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص106.

9- ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 277.

10- عمر بلبشير: المرجع السابق، ص57.

11- محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، ط2، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب الأقصى، 1977، ص54.

12- عمر بلبشير: المرجع السابق، ص59.

13- ابن عسكر: المصدر السابق، ص54.

14- عمر بلبشير: المرجع السابق، ص55.

15- ابن عسكر: المصدر السابق، ص125، 126.

16- ابن مريم: المصدر السابق، ص115.

17- بعد حصار دام حوالي سبعة أشهر سقطت غرناطة آخر مدينة إسلامية في الأندلس، وفي سنة 1493م غادر أبو عبد الله الغرناطي برفقة أهله وحاشيته إلى ميناء مليلة بالمغرب الاقصى ومنه إلى حاضرة فاس، وكان من هاجر معه حوالي 1132شخصا، كما هاجر في السنوات الأولى لسقوط غرناطة عدد ضخم من كبار أهلها وقوادها وفقهائها وعلمائها وسادتها وأعيانها... للاستزادة ينظر، محمد دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512- 1543م)، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1433هـ /2012م، ص41.

18- تعهد الملك الإسباني في معاهدة الاستسلام بأن يحترم الدين الاسلامي والمسلمين وممتلكاتهم ودور عباداتهم ومعاملتهم بما يليق بهم والتزم لهم بأن يعمل على توفير الأمن لهم ولأبنائهم وممتلكاتهم لأنهم رعايا تابعين له... ينظر، مجهول: المصدر السابق، ص31.

19- واشنطن إفرقنغ: أخبار سقوط غرناطة، ترجمة: هلايلي يحي نصري، ط1، مؤسسة الإنشار العربي، بيروت، لبنان، 2000، ص409.

20- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص93.

21- علي حسن الشطشاط: نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001، ص63.

22- تأسس هذا الديوان بمدينة تولوز الفرنسية سنة 1329م أين اجتمع رجال الكنيسة الكاثوليكية لأول مرة أيام البابا "غريغوري والتاسع " وقرر إنشاء محكمة يقدم اليها كل من يتهم في عقيدته الكاثوليكية وكل من كان على غير هذه العقيدة المسيحية أمثال اليهود والمسلمين في إسبانيا والبرتغال والبروتستانت وكل من يتهم بالالحاد والزندقة في المذهب الكاثوليكي، إلا أن البابا لم يقرر إنشاء الديوان بطريقة رسمية والعمل بما قرره المجتمعون إلا في سنة 1333م، فصدرت الاوامر إلى الكنائس بتعيين كاهن خاص توكل إليه مهمة تطبيق تلك القرارات التي صدرت سنة 1329م، وتقديم المخالفين لمحكمة بابوية خاصة، وخُوّل لكاهن التفتيش الخاص أن يستعين بمن يراه مناسبا ولازما من الجواسيس، وكان يطلق على تلك المحكمة البابوية الخاصة اسم (ديوان التفتيش) أو (التفتيش المقدس) وبقي هذا الديوان يعمل إلى غاية اندلاع الثورة الفرنسية سنة 1798م، بحيث تقرر حله نهائيا، لكن ما يمكن ملاحظته أن هذا الديوان لم يمارس من الفضائع مثلما مارسه في إسبانيا ضد المسلمين ليقرر الغاؤه سنة 1830م بعد أن لطخ عاره كل البلاد... محمد علي قطب: مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، مكتبة القرآن للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص87.

23- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص94.

24- نفسه.

25- عبد الواحد ذنون طه: تاريخ المغرب العربي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004، ص413.

26- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص95.

27- إستعمل الموريسكيون أسلوب التقية للمحافظة على دينهم الاسلامي ومواجهة الأساليب القذرة للدواوين التفتيش، فبعد عمليات التنصير القصري سنة 1502م لجأت الجماعات الموريسكية إلى إنشاء جمعيات سرية '، حيث واصل من خلالها الفقهاء والدعاة تأطير وتنظيم المنظومة الاجتماعية، والمحافظة على الدين الاسلامي داخل المجتمع الموريسكي وفي المقابل كانت دواوين التفتيش ترفض بشكل قطعي كل أشكال الحوار مع المسلمين، لذلك رخص علماء الاسلام للمسلمين بعدم إظهار الشعائر الاسلامية خشية الوقوع في الضرر الذي يؤدي إلى القتل والتنكيل... وبذلك اتبع المورسكيين أسلوبا جديدا لمواجهة الخطر المسيحي يعتمد أساسا على إظهار الكفر ((المسيحية)) وإخفاء الدين الاسلامي وهو اسلوب التقية... ينظر، حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص97.

28- علي مظهر: محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها، المكتبة العلمية، القاهرة، مصر، 1974، ص81.

29- نفسه.

30- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص94.

31- نفسه: ص106.

32- النوازل هي مسائل وقضايا دينية ودنيوية، تحدث للمسلم ويريد أن يعرف حكم الله فيها، وقد أخذ المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي، يلجأون إلى الخلفاء الراشدين وعموم الصحابة يسألونهم عن أحكام هذه النوازل، فكان هؤلاء يلتمسون لها نصا في كتاب الله سبحانه وتعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، حيث يمكن أن تندرج النازلة تحتهما، فإن لم يوجد اجتهدوا في استنباط أحكام تساير القرآن والسنة...، للاستزادة ينظر: محمد حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ط1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1999، ص11.

33- أحمد الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج2، إشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ص119.

34 - Leila Sabaggh: la religion des moriscose entre deux fatwas, les morisques et leortemps, édition du centre national de la recherche scientifique, 4-7 juillet, paris, 1981, p46.

35- الونشريسي: المصدر السابق، ص136.

36- هنا نلاحظ التشكيك في نية الاندلسيين من هذا السائل مخالفا بذلك حديث الرسول "صلى الله عليه وسلم "الذي رواه عمر بن الخطاب "رضي الله عنه": حيث قال: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما أراد)).

37- الونشريسي: المصدر السابق، ص137.

38- نفسه: ص120.

39- نفسه: ص 150.

40- مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والْوِلْدَانِ، لاَ يَسْتَطِيْعُونَ حِيْلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيْلاً، فَأُوْلَائِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَّعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ سورة النساء، الآية 97-98.

41- مصداقا لقوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ لِلْكُفْرِ صَدْرَاً فَعَلَيْهِ غَضَبٌ مِنَ اللهِ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة النمل، الآية 106.

42- الونشريسي: المصدر السابق، ص120.

43- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص108.

44- الونشريسي: المصدر السابق، ص137.

45- مصداقا لقوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِيْنَ ومَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَقوا مِنْهُمْ تُقَاةَ ويحَذِرَكُمْ اللهُ نَفْسَهُ وإِلَى اللهِ الْمَصِيْرُ ﴾ سورة آل عمران، الآية 27.

46- الونشريسي: المصدر السابق، ص138.

47- نفسه.

48- محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1997، ص 342.

49- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص110.

50- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يأتي زمان على أمتي القابض على دينه كالقابض على جمر".

51- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص342.

52- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء، قالوا ومن الغرباء يا رسول الله، قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

53- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص343.

54- نفسه

55- نفسه

56- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص110.

57- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص343.

58- نفسه

59- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص143.

60- نفسه: ص 147.